تدهور أوضاع بغداد العمرانية في العصر العباسي الأخير

د. علي فرحان زوير / المديرية العامة لتربية بابل

المقدمة

منذ توسط القرن الرابع الهجري بدا التدهور والانحلال يدب في الكيان السياسي للدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي . وكان يقف وراء هذا التدهور الخطير عدد من العوامل لعل ابرزها كان ضعف الكفاءة الادارية والسياسية للخلفاء العباسيين ولسلطة الخلافة المركزية في بغداد ، وهذا ينقلنا الى عامل اخر لايقل اهمية وهو ان ضعف السلطة المركزية ادى فقدان السيطرة والهيمنة على الاقاليم والولايات في مشرق الخلافة العباسية ومغربها وذلك لان زعماء هذه الاقاليم استغلوا حالة الضعف هذه فاستقلوا عن السلطة المركزية وقطعوا ما اعتادوا حملة الى بغداد من اموال وبضائع وتجارات ، وهو امر سبب في شحة المواد الغذائية في اسواق العاصمة لانها كانت تعتمد كثيرا على هذه الواردات في تسيير امورها مع سلطة الاجانب العسكرية ولعرض المواد الغذائية في اسواق للقضاء على احتكار التجار لها ، وسد حاجة الفقراء من اهالي بغداد الذين يمثلون الشريحة الاجتماعية الاوسع ، وكذلك من بين هذه العوامل استبداد الامراء والولاة في السلطة ، وتنازع الجند الاتراك فيما بينهم وتنازع الامراء البويهيين والسلاطين فيما بينهم على السلطة وتنازعهم مع الخلفاء ، فشهدت بغداد وفي عدة مرات حالات الحصار العسكري الذي ادى الى تدمير البنية الاقتصادية والسكانية والعمرانية لها [١].

التسلط البويهي

ترجع جذور هذه الاوضاع المضطربة سياسيا الى حوالي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٠م عندما واجهت الخلافة وهي المؤسسة المركزية في بغداد تحديات خطيرة جدا اقتصادية بالدرجة الاولى ادت بالخليفة العباسي مضطرا الى ابتكار وسيلة لحل الازمات المالية والاقتصادية عن طريق اقطاع الجنود الاراضي الخصبة وبيع الولايات الى المتنفذين على اساس الضمان . فقد وصفت هذه الفترة (٣٢٤هـ - ٣٣٤م) بفترة تسلط الجنود الاتراك الاجانب حيث هيمن القادة الاتراك والفرس الذين تلقبوا بلقب الامراء ، وهو لقب منحهم اياه الخليفة الراضي بالله (٣٢٢هـ-٣٢٩م)، وسلم اليهم مقاليد الامور السياسية والادارية والاقتصادية في مقابل حل الازمة المالية التي كان يواجهها الخليفة وعدم قدرته على دفع رواتب الجنود . فاضطر الى ان يقلد احدهم وهو محمد بن رائق منصب امير الامراء وتسلم الامور جميعها في بغداد اكد ذلك مسكويه بقوله " **فبطل يومئذ امر الوزارة ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران في الامر كله** " [٢]. وهي معلومة تبين بصورة واضحة تحول السلطات الواسعة بمختلف صلاحياتها الى ابن رائق التركي يتمتع بها . في نفس الوقت يوضح لنا ان سلطات وصلاحيات وهسمنة الخليفة باتت محدودة جدا .

بالرغم من ذلك، الا ان الازمة المالية ظلت كبيرة ، كما ادت سيادة امير الامراء الى ارتفاع اسعار المواد الغذائية ، فعلى سبيل المثال ٣٣٠هـ اشتد الغلاء في

اسواق بغداد حتى بلغ سعر الكر الحنطة مائتين وعشرة دنانير ، وهو سعر غال جدا في ذلك الوقت وبلغ سعرالشعير[٣] مائة وعشرين دينارا [٤]، وبعد ايام يذكر ابن الجوزي ان الاسعار تطايرت في الارتفاع ليبلغ كر الحنطة ثلاثمائة وستة عشر دينارا. حتى اضطر الفقراء الى سد رمقهم من الجوع باكل الميتة . وبينما يعيش الناس هذا الظرف القاسي استمر ابن رائق ملاحقة الناس ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم [٥].

هيات هذه الظروف الفرصة امام اقوام عدة اصولها اجنبية غير عربية ان تشن الغزوات للتغلغل في اراضي الدولة العربية الاسلامية والسيطرة على مقدراتها من امثال الغزو البويهي .

وهؤلاء البويهيين قبائل بدوية غير متحضرة ، ولهذا فان سيطرتهم على بغداد لم تؤد الى أي اضافة حضارية بل العكس فانه بسبب نزاعاتهم فيما بينهم وحروبهم ضد القوى المجاورة جعلت مدينة بغداد هدفا لاعمالهم التخريبية ، فالسيطرة البويهية اتسمت بالفوضى والاضطراب السياسي وقادت الى حدوث فتن

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

اجتماعية بين اهالي محلات بغداد ، وذلك لان الاجانب زرعوا الاحقاد الطائفية بين افراد المجتمع لكي يستمر تسلطهم . وادى ذلك الى فقدان الامن الداخلي والى شيوع اللصوصية وقطع الطرق على الامنيين من الاهالي والتجار ، والى نهب اموال الناس . ادى هذا كله الى تضرر الاهالي عامة والفقراء خاصة بارتفاع اسعار المواد الغذائية وندرتها وشيوع الاحتكار [٦].

ولقد ساعدت عوامل اشتعال الفتن بينم المحلات الى حرق الكثير من المحلات والبيوت والاسواق. الامر الذي ادى الى بروز ظاهرة انكماش الاحوال العمرانية في المدينة منذ هذه الفترة فصاعدا مما حدا الجغرافي الموصلي ابن حوقل بوصف احوال مدينة بغداد خلال فترة الويهيين بقوله" وبين الجانبين ـ ويقصد الجانب الشرقي من بغداد وجانبها الغربي ـ في وقتنا ـ حوالي منتصف القرن الرابع الهجري ـ جسر يقرب باب الطاق ـ ويقصد الرصافة ـ وكانا اثنين لعبور المجتازين ولما بلغ النقص عليها عطل احدهما لبيان الاختلال .....: وهلك اكثر محالها ، وذلك انه كان من باب خرسان ـ محلة في الجانب الغربي بالقرب من باب خراسان احد ابواب المدورة ـ عمارة الى ان تبلغ الجسر وتمتد الى باب (محلة) الياسرية من الجانب الغربي ،وعرضها فقد اختل ايضا من الجانبين جميعا نحو خمسة اميال ،ونقص وهلك من الكثير...واعمر بقعة بها اليوم- ويقصد الجانب الغربي – الكرخ وجانبه"[٧]فابن حوقل اذا يشير الى ماآلت اليه مدينة بغداد من تقلص في وحداتها العمرانية .ثم يصف جغرافي اخر زار المدينة بعد ابن حوقل بحوالي ربع قرن ماشاهده ابن حوقل ويقدم سببا لذلك قائلاحتى ضعف امر الخلفاء فاختلت وخف اهلها فاما المدينة فخراب والجامع- يقصد جامع المدينة المدورة – فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب ،اعمر موضع لها – أي الجانب الغربي – قطعية الربيع والكرخ ،وفي الشرقي باب الطاق وموضع دار الامير- أي دارمعز الدولة بالشماسية – الصليح حاليا – "[٨].

ويصف المقدسي حالة بغداد في المستقبل من فترة زيارته اذا مابقيت ظروفها على ماهو عليه من سيطرة البويهيين فيقول بانها **"في كل يوم الى ورا"**[٩]ومع ان عضد الدولة قد انجز بعض الاعمال العمرانية فمثلا سد البثوق على الانهار وبنى القناطر من بينها قنطرتان على نهر الصراة الذي يصب في دجلة جنوب شمال المدينة المدورة .كما انه بنى جسرا فصار للمدينة جسران وبنى مستشفى سميت بالمارستان العضدي الذي ظل قائما حتى الغزو المغولي وامر بعمارة منازل بغداد واسواقها ومساجدها ،وشيد دار المملكة في المخرم (العيواضية)،واهتم بطريق الحجاج فحفر الابار وزود الطريق بالمياه ونصب السواقي المليئة بمياه الشرب على طول طريق الحج[١٠]. بيد ان الاعمال القليلة لا تقارن بما خربه البويهيين من معالم عمرانية كثيرة،وذلك لقلة اهتمامهم بالتعمير والتجديد اذ كان جل همهم مصادرة الناس وجمع الاموال.

التسلط السلجوقي:

اخذت الغزوات الاجنبية تترى على بغداد لضعف الادارة المركزية ،وسوء الاحوال كما ذكرنا فبعد انتهاء التسلط البويهي عام ٤٤٧هـ في هذا العام شهد العراق عامة وبغداد بصورة خاصة عهدا جديدا خر من عهود التعسف والقهر والتخريب .واستمرت سيطرة السلاجقة الى سنة ٥٩٠هـ عندما نجح الخليفة الناصر لدين الله على انهاء هذه السيطرة .

لم يتخذ السلاطين السلاجقة مدينة بغداد عاصمة لهم ،كما فعل اكثر البويهيين،وكانو يسلمون مقاليد حكمها الى عدة موظفين عسكريين .ولهذا فان موقف هؤلاء منذ ان دخلوا بغداد المختلف عن المواقف التي فرضها الديالمة خاصة تلك المتعلقة بالخليفة العباسي سياسيا ،ومتعلقة ببغداد او تطوير احوالها العمرانية .فالسلاجقة ايضا هم قبائل بدوية لاتحمل أي مظهر حضاري،بل العكس انهم خلال هجرتهم الطويلة من بلاد ماوراء النهر اخذوا ينسخون المظاهر الحضارية للدولة .والادارة والمدينة من الحضارة الاسلامية .ولهذا فانهم كالبويهيين اتبعوا سياسة ظالمة فجردوا الخليفة العباسي من سلطاته.وبالرغم من كون السلاجقة من المسلمين المتشددين من اتباع المذهب الحنفي فانهم لم يترددوا في سلب السلطات الدينية والدنيوية من الخليفة ساعدهم في هذه السياسة نفر من الساسة الدهاة كالوزير نظام الملك [١١].

فالسلاجقة شانهم شان البويهيين لم يهتموا باحوال الشعب العراقي وتحسين سبل مستوى عيشه ،ولم يعملوا على تحسين احوال بغداد العمرانية اللهم الا في الامور المتعلقة بمصالحهم الخاصة وعلى حساب عمران المدينة واهلها.فقد عمت الفوضى والاضطراب خلال فترة حكمهم بسبب منازاعات السلاطين السياسية والعسكرية للوصول الى دست الحكم وذلك خضعت مدينة بغداد الى ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة ففي

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

بداية غزو السلطان طغرلبك بغداد انتشر الجنود الاتراك الذين جاءوا معه في سواد بغداد الزراعي ونهبوه ودمروا ثروته الزراعية

كما انهم سلبوا اموال الناس في العاصمة في القسم الشرقي منها وعاثوا فيها فسادا ونزلوا دور الاهالي جبر وارتكبوا جرائم القتل والسلب.وهناك وصف للمؤرخ العراقي ابن الجوزي يلقي ضوء كبير لما نحن بصدده فيذكر انهم اجبروا اهالي بعض المنازل على ترك منازلهم واستخدام اخشاب بيوتهم وقودا للتدفئة فانهدمت تلك البيوت.وانهم في احدى المرات هاجموا حمامات النساء واعتدوا على الاعراض .ونهبوا المحلات وهدموا اسوار دار المملكة التي بناها عضدالدولة ليبنوا بدلها قصرا لسلطانهم طغرلبك [١٢].ولم تختلف سياسة طغرلبك عن سياسة من خلفه من سلاطين.ففي عدة مناسبات اقدم الجنود الاتراك على تخريب الاراضي الزراعية والقرى المحيطة ببغداد الامر الذي اجبر الاهالي في هذه القرى على ترك منازلهم واراضيهم والتوجه الى العاصمة التي عانى اهلها كثيرا من تزاحم الناس ونقص المواد الاساسية وارتفاع اسعار المواد الغذائية فيقول مؤرخ السلاجقة البنداري الاصفهاني بان الجند الاتراك انتشروا في سواد بغدادفقاموا بنهب الجانب الغربي والشرقي من بغداد فاشتد البلاء على الناس وعظم خوفهم .[١٣]

فان هذه السياسة التخريبية ساعدت على انتشار الخراب في معظم الاراضي الزراعية ونقص الانتاج وارتفاع الاسعار ،ومما زاد في الطين بله هي توزيع الاراضي الخصبة المحيطة ببغداد والاراضي الزراعية في البصرة وواسط والاحواز وغيرها من مدن العراق على جنودهم بشكل قطاعات وذلك للتخلص من دفع وراتبهم وارزاقهم،ولما كان هؤلاء الجند لايهمهم من الاراضي الا انتاجها وعدم تعميرها فقد ادى هذا الامر الى نتائج وخيمة تماما اذا اعتبروا الاقطاع ملكا وراثيا واساؤا معاملة الفلاحين.ونتيجة لهذه الاجراءات هلك الكثير من الفقراء جوعا[١٤]ففي سنة ٤٤٨هـ ارتفعت اسعار المواد الغذائية فبلغ سعر الكر الواحد من الحنطة تسعون دينارا في الوقت الذي كان سعره سابقا عشرين دينارا،ونتيجة لشحة المواد الغذائية ادى الى انتشار الموت والاوبئة ،واظطر الناس الى اكلة الميتة ،وبيع اللحم كل رطل بقيراط "[١٥]"وكل اربع دجاجات بدينار ونصف وكل قفيز"[١٦]"ارز بديناران وكل مائة كراثة بدينار وانعدمت الاشربة والادوية فبلغ من "[١٧]" الشراب بدينا ر والمكوك"[١٨]" من برز البقلة بسبعة دنانير،ثم ادى هذا الى فساد الهواء وكثرة الذباب فكان يموت كل يوم الف انسان"[١٩]".وفي سنة ٤٩٩هـ ارتفعت الاسعار،فبلغ سعر الكارة "٢٠" من الدقيق تسعين دينارا ،واكل الناس الكلاب وكثرة الموت"[٢١]"

انعكس تدهور الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية على عمران بغداد ،فالمؤرخ ابن الجوزي بقدم في مناسبات كثيرة الاجراءات التخريبية للسلاطين في اعمال البناء والعمران وبين كيف انهم كانوا يشيدون دارا،لكن بعد ان يخربوا دورا للناس ففي سنة ٤٤٨هـ اراد طغرلبك بناء سور عريض يحيط باكثر المخرم وعزم على بناء قصر له فجمع "الصناع لتجديد دار المملكة العضدية وخربت الدور والدروب والمحال والاسواق بالجانب الشرقي وجميع مايقارب الدار واخذت الاتها للاستعمال ونقضت دور الاتراك وسلت اخشابها بالجانب الغربي وقلع الفقراء اخشاب السدود وباعوه على الخبازين...."[٢٢]".

وفي سنة ٤٤٩ هـ احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام وسوق الكبش وسوق باب الشعير وسوق العطارين وسوق الانماط وسوق الخشابين والجزارين والنجارين ومحلة باب المحمول ومحلة نهر الدجاج "[٢٣]".وفي سنة ٤٥٥هـ نقض السلطان طغربلك الدور الباقية بمشروعة الزوايا والفرضة ومن بقايا المسنيات والدور الشاطئية وغيرها شي كبير واخذت اخشاب الدور وحملت الانقاض الى دار الخلافة وكان عدد الدور ذوات المسنيات في الماء ،مائة وسبعين ونيف"[٢٤]"

ومن الممكن القول ان السيطرة السلجوقية (٥١٢هـ- ٥٩٠هـ)واجهت متاعب عديدة،وكان ابرزها ان مؤسسة الخلافة العباسية ،نظرا لوجود خلفاء اكفاء واقوياء اداريا ،شهدت انتعاشا ،ففي هذه الفترة نهض الخلفاء العباسيون ،المسترشد بالله وابنه الراشد بالله(٥٢٩هـ -٥٣٠هـ)والمقتفي لامر الله(٥٣٠- ٥٥٥هـ)،ضد السلاطين السلاجقة،وقادوا اهالي بغداد في ثورة ضد السيطرة السلجوقية ،وبالرغم من ان الخليفة الاول قد قتل من قبل السلاجقة،والثاني قد خلع من الخلافة ،لكن وقوفهم ضد السلاجقة قد جلب عدة نتائج سياسية ايجابية وسلبية منها:

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

١. تحجيم سلطة السلاطين الذين يسمون بسلاجقة العراق واضعاف هيمنتهم ،لاسيما وانهم كانوا لايقيمون في بغداد.
٢. ساعدت ثورة الخلفاء على زرع بذور الفرقة بين السلاجقة ،فاخذ الخليفة يميل الى جانب ضد الاخر.
٣. تقوية البنية الاجتماعية لاهالي بغداد خلف الخليفة فكانوا يلبون أي امر يامره لمحاربة السلاطين السلاجقة.
٤. قيام الخلفاء باعمال اجتماعية محاولة منهم تخفيف الام الاهالي الاجتماعية والاقتصادية بمعنى اجراء عدد من الاصلاحات في هذه الميادين وذلك بازالة اسباب الفساد الاجتماعي .فقد امر الخلفاء بنقض بيوت الخمر وحانات بيع الخمر،وحاربوا جميع حالات الفساد واللهو والدعارة ،فيذكر ابن الجوزي ان الخليفة المسترشد كان خيرا لذلك فانه عمل على دحض ادوات اللهو"[٢٥]".بذلك فانه ارسى اول دعائم تقوية الجبهة الداخلية،يقول ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٤هـ تقدم الخليفة "باراقة الخمور التي بسوق السلطان ونقض بيوتهم"٢٦".كما ان الخلفاء عملوا على رفع جميع انواع الظلم عن مختلف قطاعات المجتمع لاسيما الفلاحين،ففي تلك السنة ازال كل عوامل الظلم عن الفلاحين في قطاعاته الخاصة ،وعندما ارتفعت الاسعارسنة ٥١٦هـ بسبب عزمه ومحاربة السلاجقة امران يتعامل الناس بالدراهم كل عشرة دراهم بدينار وان يتعاملوا بالقراضة كل اثني عشر درهما بدينار مساهمة في التغلب على ازمة الغلاء"[٢٧]".
٥. ولايمكن اغفال الضعف السياسي حتى في هذه الفترة،ذلك ان السلاطين السلاجقة كانوا يتصارعوا فيما بينهم على السلطة.فقد بقى السلطان محمد اخو السلطان بركياروق حاكما على العراق حتى سنة ٥١٣هـ وجاء بعده السلطان محمود.ولما كان السلطان الاعظم سنجر لم يرتح لمحمود وقع صراع بينهما وانتصر في السلطان سنجر.وبعد السلطان محمد حكم العراق السلطان مسعود(٥٢٥هـ - ٥٤٧هـ)لم يكن خلالها الحاكم الوحيد فقد وقع في نزاعات عديدة مع اخوته وابناء عمه،وكان السلطان مسعود ظالما وقاد في مرات عدة هجمات على مدينة بغداد التي تحملت اعباء قاهرة من جراء اعمال النهب واثارة الرعب في نفوس الاهالي.

ان هذه الامور قد ساعدت الخليفة على تقوية قبضته السياسية والعسكرية .لكن السلاجقة ظلوا يمتلكون الجيش والسلاح بينما جردوا الخليفة من هذين العنصرين فلما جاء الخليفة المقتضي لامر الله الى سدة الخلافة سعى الى انتهاج سياسة ذكية تقوم على عدة اسس منها: انه داب على اتباع سياسة فرق تسد بين السلاجقة المتصارعين.لاسيما وان السلاطين في عصره كانوا صغارا لم يبلغوا من الرشد بعد ويقوم بالاشراف عليهم عسكريون يسمون بالاتابكة حيث يسهرون على الوقوف خلفهم ودعمهم.وهنا بدا الخليفة مشروعه في توسيع نطاق الاختلاف والنزاع بين السلاطين واتابيكيتهم ،ففي سنة ٥٤٢هـ حينما عزم الاتابك ايلدكز الضغط على الخليفة بقطع الخطبة عن السلطان مسعود وتحويلها الى السلطان محمد بن محمود.وشن في سبيل تنفيذ هذا هجوما على بغداد .تدخل الخليفة ومارس نفوذه في اهالي بغداد للدفاع عن المدينة فسعى الى تنظيم جيش من ابناء بغداد ،واسرع في ترميم واعادة بناء سور المدينة وحفر خندقا حوله واعاد تحصين ابواب السور استعدادا لقتال[٢٨].كذلك اتخذ موقفا ذكيا في سنة ٥٤٩هـ على اثر وفاة السلطان مسعود ،كما ان الخليفة المقتفي لامر الله اكثر من اجراءات ممن سبقه من الخلفاء في الاعتماد على اهالي المدينة وتكوين جبهة داخلية قوية ففتح باب التطوع للجيش البغدادي ،واخضع هذا الجيش الى التدريب والتنظيم وحمل السلاح[٢٩].

وذهبت مساعيه الى اكثر من ذلك فحاول ترميم البنية التحتية للمجتمع فقام باجراء اصلاحات اقتصادية واجتماعية كالحد من النزاعات بين اهالي المدينة لاسباب طائفية او سياسية [٣٠]فاغرق الصدقات على الفقراء والمساكين ووزع الكسوة عليهم .وفي سنة ٥٥٣هـ صرف خمسة الاف دينار للفقراء وقضاء ديون المساجين [٣١].وانه سعى – كالخلفاء المسترشد والراشد- الى القضاء على الفساد الاجتماعي وتقرب الى العلماء والفقهاء[٣٢].

واستمر هذا الخليفة على العمل بجدية الى تفتيت قوة السلاجقة وضرب بعضهم بالعض الاخر وبناء قاعدة جماهيرية قوية من ابناء بغداد.فصارت هذه السياسة مشعلا سار عليها من جاء بعده من الخلفاء.

ومع اهمية هذه الاجراءات السياسية لتحرير العراق من السيطرة الاجنبية السلجوقية ،الا ان مدينة بغداد لم تسلم من تعرضها الى الحصارات المتكررة والهجمات التي ادت بدورها الى تخريب العديد من منشاتها العمرانية وخططها ومحلاتها ومنازل اهلها .كما حصل في سنة ٥٣٠هـ عندما امتنع الخليفة الراشد عن دفع

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

مبلغ (٤٠٠)الف دينار الى السلطان مسعود،فقد شن السلطان هجوما على العاصمة فاحدث اضطرابا وفوضى في داخل المدينة وفرض عليها حصارا مما ساعد على ظهور العيارين وقيامهم بنهب الاموال.

وبهذا الصدد يصف ابن الجوزي حالة بغداد قائلا كانت ايام عيد فعيد الاهالي داخل السور ،ووصل اصحاب مسعود الى الرصافة فدخلوها ودخلوا الجامع فكسروا ابوابه ونهبوه وكسروا شبابيك ترب الخلفاء ،ووقوع النزاع بين محلات باب الازج (باب الشيخ)والمامونية ،ونهب العياريون دكاكين البزازين[٣٣].

وفي سنة ٥٥٢هـ هاجم محمدشاه محمد بغداد ،فاضطر الخليفة الى ان يجمع جميع السفن ويضعها تحت قصر التاج (دار الخلافة في بغداد الشرقية)وامر ان لايبقى احد من اهالي الجانب الغربي ففزع الناس فانتقلوا الى دار الخلافة وتسلح الاهالي ونصبوا المجانيق.ووصل جيش محمد شاه بنحو ثلاثين الف جندي مسلح فرموا الجانب الشرقي وعبر اليهم اهالي بغداد والتحموا مع الجيش التركي بالقرب من مسجد قمرية. ونهب الاتراك الجانب الغربي وخربوا ٢٧٠دولاباعلى النهر (وهو دولاب لرفع ىالمياه).واحرقت الدور في الجانب الغربي[٣٤].

انتعاش الخلافة العباسية (٥٧٥هـ - ٦٥٦ هـ)

إن مامر على العباسيين في الفترات السابقة ومامر على بغداد من فوضى سياسية واضطراب قد وصل إلى نهايته بسبب السياسة العنيدة التي انتهجها الخلفاء العباسيون منذ خلافة المسترشد بالله ضد السلاطين السلاجقة فخلال خلافة الناصر لدين الله تحول السلاطين إلى أدوات ضعيفة على اثر النزاعات المتكررة بينهم وعلى اثر سيادة نفوذ أولئك الاتابكة الذين كانوا يشرفون على تربيتهم ،فالخليفة الناصر سار على نفس السياسة التي اتبعها من سبقه من الخلفاء فكان يتحين الفرص لتوسيع شقة الخلاف والاختلاف بين السلاطين الصغار من جهة واتابكيتهم من جهة أخرى وقد أثمرت هذه السياسة عن نقض ابرز معقل من معاقل وجودهم في بغداد إلا وهو دار السلطنة في المخرم وقد كانت هذه الخطوة تمثل بداية النهاية للسلاجقة ،وبهذا الصدد يقول ابن الأثير ،إن طغرل الثالث اخر السلاطين السلاجقة بعث رسولا إلى بغداد في سنة ٥٣٨هـ يطلب من الخليفة أن يعيد أعمار دار السلطنة لأنه يريد أن يسكنها ،فما كان من الخليفة إلا الرد الحاسم عليه فامر بنقضها " فهدمت إلى الأرض وتخفى اثارها"[٣٥].ويقول الاربلي عن سعي الناصر في هذا انه "جدد عزيمة في إزالة السلاطين السلجوقية وقطع آثارها من العراق ثم ملك بلاد (عربستان)بجيش أرسله الى هناك وكذلك دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة ثم ملك همذان واسقط ماكان بها من الملوك وقتل السلطان طغربلك السلجوقي "[٣٦].

وفي عام ٥٩٠هـ دخل الخليفة الناصر لدين الله في حوار سياسي مع أقوى دولة إسلامية يومذاك وهي الدولة الخوارزمية بهدف تصفية الوجود السلجوقي ،وفي معركة بين اخر سلطان سلجوقي طغربلك الثالث وخوارزم شاه انتهت بهزيمة السلاجقة ومقتل طغربلك الثالث وحمل راسه الى بغداد وكان ذلك ايذانا بانتهاء عصر من عصور الاستبداد والتخلف.

وبعدان تحررت بغداد من سيطرت السلاجقة التفت الخليفة الناصر لدين الله ومن جاء من بعده الى استعادة هيبة الخلافة سياسيا واداريا،وقاموا بالعديد من

الانجازات الاجتماعية والاقتصادية بغية تحسين مستوى معيشة الاهالي والتغلب على الصعوبات والمشاكل التي خلفتها عصور السيطرة الاجنبية ،وهذا مايصرح به ابن الكازروني مؤرخ العراق حيث يقول واصفا احوال الناس السيئة قبل خلافة الناصر لدين الله فقد "اهلك الناس الجدب وغلو الاسعار وقلة المعاش ،وكثرة الامراض والوباء ،فلما بويع بالخلافة زال ذلك ببركة بيعته حتى درت الامطار وتراخت الاسعار وهنا الناس بعضهم بعضا ببركته فكان كما قال ابو جعفر يحيى بن محمد العلوي [٣٧]

وليت وعام الناس احمر ماحل
فجدت وجاد الغيث وانقشع المحل
وكم لك من نعماء ليس بمدرك
لها حاسب اذا حسب الرمل "[٣٨]"

ومن بين اهم الاعمال الدينية والاجتماعية التي قام بها الخليفة الناصر لدين الله هي بناء المساجد والربط للمتصرفة والفقراء وبناء دور الضيافة الرمضانية ودور ضيافة الحجيج وبذلك يقول المؤرخ العراقي الشمهور ابن الساعي "فعم الفقراء والضعفاء هذه الصدقة وانتفعوا بها وتفرغ بالهم في هذا الشهر واستراحوا من السعي

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

في تحصيل القوت"[٣٩] وهو تعبير يوضح بشكل لايقبل الشك كيف ان هذا الاجراء – بناء دور الضيافة الرمضانية – الذي اتبعه الخلفاء الذين جاءوا بعده قد ساهم في حل ازمة اجتماعية كان الفقراء يعانون منها[٤٠].

وهكذا عادت الحياة تدب مرة ثانية في المدينة بعد ان كانت واهلها يعانون من ضنك العيش ومزارة التسلط الاجنبي .لكن هذه الاعمال والاجراءات مع مافيها من خير وبركة عمت الناس فانها لم تستطع ان تغير الواقع العمراني لمدينة بغداد.فان المدينة تحددت في عدة جوانب اساسية بينما عم الخراب في مواضع اخرى ،فكان الجانب الشرقي منها محددا بحدود بغداد الشرقية بسورها وابوابها الاربعة باب السلطان ،باب الوسطاني،باب الحلبة ،وباب البصلية،ثم جزء من الرصافة وهو باب الطاق ومحلة مشهد ابي حنيفة (رضي الله عنه).كذلك الحال بالنسبة الى الجانب الغربي .

وان عوامل اخرى غير العوامل السياسية قد ساعدت هي الاخرى على انكماش وتحدد العمران في بغداد وهي العوامل الطبيعية التي سنتحدث عنها.

اثرالكوارث،العوامل الطبيعية في انكماش عمران بغداد

كيف تؤثر العوامل الطبيعية أو التي تعرف بالكوارث أو التبدلات الطبيعية على الأحوال العمرانية لأية مدينة من المدن في الفترات التاريخية التي نحن بصددها أو في أي فترة تاريخية أخرى؟

ونحن نكتب هذه السطور نستذكر ماخلفته الزلازل من كوارث يصعب وصفها فقد حطمت الزلازل عمارات وشوارع وقتلت الكثير من الناس .وأمامنا أيضا ماخلفته وتخلفه الإمطار الغزيرة والفيضانات في موزنبيق كتهجير آلاف من الناس وتلاف الكثير من الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية وانجراف الدور والمنشات .كل ذلك حدث في القرن الواحد والعشرون قرن التقدم التقني فكيف في العصور الوسطى حيث الفترات التي سبقت عصر التصنيع ؟لذلك فان العرب والمسلمين أطلقوا على ربكم واشكروا له بلدة طيبة وربهذه الامور والكوارث لفظة الجوائح قالى تعالى في محكم كتابه العزيز "ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم [*]ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين"[٤١]وقال عز من قائل "لقد كان لسبا في مسكنهم اية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور[*]فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل الغرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيْ من سبار قليل[*]ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزي الا الكفور"[٤٢].

وقد عرف العرب في ازمانهم الاولى الجوانح وما تخلفه من اضرار فتاكة وخسائر بشرية ومادية ،كالامطار والسيول والفيضانات وارتفاع مناسيب المياه والزلازل والامراض الفتاكة والجراد والقمل فقال العربي عن جائحه القحط وانحباس المطر باشارته الى تلك السنة بانها سنة جماد وسنة جامدة أي التي لاكلا فيها ،واستخدم تسمية الجراد فاطلقها على تلك الافة المهلكة للزرع والضرع فكانت تجرد الزرع جردا وتهلكه.

فكان للكوارث او الجوانح الطبيعية تاثير كبير على الناحية العمرانية والاقتصادية وساهمت في خلق الكثير من الازمات الاقتصادية والاضرار المهولة للناحية السكانية والمادية وعلى الرغم من ان هذه الجوانح لايحدها زمان معين ولامكان معين،فقد تعرضت لها مدن العراق كما تعرضت لها مدن الشام ومصر واوربا فحدثت في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي مثلا زلزال في ناحية نسا في خراسان دمر عدد من القرى واوقع خسائر بشرية كبيرة [٤٣].كما حدثت في واسط سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م و اضرت بالناس والعمران[٤٤].ووقعت في مدينة المهدية في تونس سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م واستمر وقوعها اربعين يوما بحيث ترك الناس منازلهم وامتعتهم وانهزموا الى ضواحي المدينة [٤٥].وتعرضت بغداد الى

الفيضانات كما تعرضت الانبار والموصل والقاهرة وهكذا الحال في بقية انواع هذه الكوارث .

ومما يلاحظ ان مدينة بغداد خلال فترة السيطرة الاجنبية السلجوقية قد واجهت تبدلات ملحوظة في الاحوال الطبيعية من تقلبات جوية ومن كثرة في الفيضانات المدمرة ومن تكرر وقوع الاوبئة بين الناس والحيوانات ومن وقوع الزلازل والسيول الجارفة وكان الظلم السياسي السلجوقي موقوتا مع هذه المصائب الطبيعية ،وفي هذا الصدد فان للعلامة ابن خلدون راي يربط بين تدهور الدولة وعمرانها وبين المجاعات والجوائح فيقول"وفي انقضاء الجيلين – يعني الجيل الاول والجيل الثاني – تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء... ولاتقولون انه قد مر لك في ان اواخر الدولة يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ... لان الاجحاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

اثره في تناقص العمران ... ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في اواخر الدول والسبب فيه ...اما الجماعات فلقبض الناس ايديهم عن الفلح"[٤٦].وعن وقوع الاوبئة واثارها يقول ابن خلدون "وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران ...واذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني ... وقع المرض"[٤٧].فابن خلدون في هذه الرؤية قد جعل الكوارث كعنصر من عناصر انحلال المجتمع ،فعندما يطرا الخلل الى نظام الدولة السياسي والاقتصادي تكثر الكوارث والجوانح.ولذلك فدراسة دقيقة لما اورده ابن الجوزي [٤٨]المؤرخ البغدادي الذي عاصر الفترة حتى سنة ٥٧٤هـ ومن بعده ابن الدبيثي وابن الساعي وابن الاثير سيدلل ،على تلك الرابطة القوية بين اظطراب الاوضاع السياسية زمن السلاجقة في بغداد وبين ماحل بهذه المدينة وبقية مدن العراق من نكبات وجوانح.

الاوبئة والامراض :

ليس جميع انواع الجوانح تؤثر في الاحوال العمرانية ،وربما تعمل على تقليل حجم السكان كالامراض فيشير ابن الجوزي في ذكره حوادث سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ان المرض والموت قد كثر في هذه السنة في القرى الزراعية .بحيث ان اهالي هذه القرى اضطروا الى ان يتركوا قراهم ويتوجهوا الى بغداد بسبب انتشار وباء الطاعون الذي فتك بالناس ويقول هذا المؤرخ عن اعراضه "وكان عامة امراضهم الصفراء فينما الرجل في شغله اخذته رعده فخر على وجهه ثم عرض له شناج وبرسام وصداع "[٤٩]،ويعلق على هذا الحدث ان الاطباء كانوا يصفون للمرض وصفة باكل اللحم لحفظ القوة والحيوية .واستمر انتشار الطاعون طيلة الفترة من شهر جمادى الاولى من سنة ٤٧٨هـ الى اواخر رمضان يعقبه الموت ،وكان الحفارون يحفرون القبور طوال الليل ولذلك عظمت معاناة الناس [٥٠].فهذا الوباء لم يهدم اية محلة اودار ولكنه ادى الى كثرة الموت بين الناس وبهذا يخف اهل هذه المحلة او تلك وربما تهجر فتصبح بحكم الخربة بمرور الزمن .وعلى هذا

الامر جاء عند ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٦٩هـ رواية عن كثرة العلل والامراض في بغداد وواسط والسواد فكثر الموت بين الناس .

ويصف ابن الجوزي الحالة قائلا ان معظم الغلات في القرى الزراعية بقيت على حالها لانعدام الناس ولعدم حصدها [٥١].وفي سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م عمت الامراض والجرب بين الناس من مدينة بغداد حتى البصرة وانتشر الموت حتى انه كان يموت منهم في اليوم الواحدة مائة نفس [٥٢].وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م وقع جفاف شديد فارتفعت اسعار الحنطة والشعير وتعذرت الاقوات وادى ذلك الى انتشار الوباء الشديد فكثر الموت[٥٣].

الزلازل :

والكارثة الاخرى المدمرة هي الزلزال التي تعرضت لها المدينة ففي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨ م وفي الثامن عشر من شهر شوال وقعت زلزلة عظيمة في بغداد استمرت حوالي الساعة وقال عنها ابن الجوزي انها كانت"ساعة عظيمة ولحق الناس منها خوف شديد وتهدمت دور كثيرة"[٥٤]وفي عرفة من سنة ٥١١هـ وقعت زلزلة في بغداد "فكانت الستور والحيطان تمرو وتجيئ ووقعت دور ودكاكين في الجانب الغربي"[٥٥]كما واجهت بغداد في سنة ٥٢٤هـ زلزال شديد في اواخر شهر شباط ،فذكر راوي هذا الحدث الى ابن الجوزي انه كان عندئذ في المسجد بين العشاءين "فماجت الارض مرارا كثيرة ... فلو دامت هلك الناس .ووقعت دور كثيرة ومساكن في الجانب الشرقي والغربي"[٥٦]،ويعلق بن كثير بان هذا الزلزال قد ضرب اكثر مدن العراق [٥٧].ويصف سبط ابن الجوزي هذا الزلزال فقال انه "يوم الخميس واستمر خمسة الى ستة ايام لمدة ست ساعات بعدذلك ارتجت الارض يوم الثلاثاء عند الفجر فخرج الناس يستغيثون هاربين من المدينة"[٥٨].وفي سنة ٥٤٤هـ ضرب بغداد زلزال عظيم زلزلت فيه الارض "فبقيت تموج نحوا من عشر مرات"[٥٩].

السيول والفياضانات

وواجهت بغداد في هذه الفترة حدوث اعاصير وسيول وفيضانات مدمرة .وتعد الفيضانات وزيادات مناسب مياه كل من دجلة والفرات من الكوارث الطبيعية المهمة جدا التي تتعلق بالموضوع الذي نحن بصدد دراسته وفي احيان كثيرة فان مياه الفيضانات كانت تؤدي الى تدمير المنازل والدور،والى غرق الاسواق وتدمير الجسور والاراضي الزراعية واتلاف الحاصلات الزراعية .وان احوال مثل هذه الكوارث ستكون وبالا بكل تاكيد على معالم المدينة ،أي مدينة في جوانبها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الصحية.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

ان الفيضانات خلال هذه الفترة كانت كثيرة يجعلنا نعجب منه عند مقارنة احوال مياه انهار دجلة والفرات في ايام تاسيس المدينة الاولى ،أي منذ ان اسست سنة ١٤٥هـ ،وهذا لايعني انها لم تتعرض لاخطار الفيضانات ،لكن ليس بالصورة التي ظهرت ايام التسلط الاجنبي ،فالذي خرب من بغداد في هذه الايام يصعب ان يعاد بناؤه او تجديده،وذلك لان السلاجقة لم يهتموا بالتعمير،بل عمدوا الى تخريب البلاد وظلم العباد.

وفي الواقع ان اساس مشكلة الفيضانات في بغداد هو نهر قديم كان يعرف بنهر القورج الذي يقع بين القاطول الذي كان يتفرغ من نهر دجلة وبين بغداد ،فهو السر في الخطر المحدق ببغداد.فلو كانت الادارة العباسية كفوءة ينبغي عليها سنويا ان تحكم سد هذا النهر وترميم السدود عليه،وان أي اهمال من جانب الخلافة او السلطان سيكون وبالا على المدينة ،وكذلك فان تعميره وترميمه سيؤدي الى رخاء المنطقة زراعيا /وفي هذا الصدد يقول ياقوت الحموي"القورج نهر بين القاطول وبغداد،منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق"[٦٠].وكان سبب حفره يرجع الى فترة قديمة ،هو انقطاع المياه عن "اهالي الاسافل"بعد حفر القاطول من قبل كسرى فادى ذلك الى تخريب مزارعهم وتدهور احوالهم المعاشية فعمل كسرى لهم مجرى بناحية القورج بعد تظلمهم اليه فعمرت بلادهم وتحسنت احوالهم المعاشية[٦١]ثم يستطرد الحموي قائلا "واما اليوم فهو بلاء على اهل بغداد فانهم يجتهدون في سده واحكامه بغاية جهدهم واذا زاد الماء فافرط بثقة – يعني سده – وتعدى الى دورهم وبلدهم فخربه"[٦٢]فمن الحوادث في سنة ٣٢٩هـ ان زادت المياه في الفرات الى ارتفاع احد عشر ذراعا وبذلك انكسر السد من نواحي الانبار "فاجتاح القرى وغرقها وغرق الناس والبهائم والوحش والسباع وصب الماء في الصراة الى بغداد ودخل شوارع الجانب الغربي وغرق شارع باب الانبار فلم يبق منه منزل الا وسقط وتساقطت الابنية على الصراة وسقطت قنطرة الصراة الجديدة وانقطع بعض العتيقة – أي القنطرة العتيقة- وزادت دجلة ثمانية عشر ذراعا في ايار وحزيران"[٦٣].وحدثت فيضانات اخرى في سنوات لاحقة سنة ٣٦٦وسنة ٣٧٠هـ وسنة ٤٣١هـ(٦٤).ولكن اول حوادث الفيضانات والسيول خلال هذه الفترة ماحدث في سنة ٤٥٤هـ في شهر ربيع الاول في السابع عشر من اذار حيث تعرضت بغداد الى سيول شديدة ليلا ونهارا"فوقف الماء في الدروب وسقطت منه الحيطان واتصل المطر والغيم بقية اذار وجميع نيسان حتى لم يجد يوم ذاك وكان في اثنائه من البرد الكبار وما اهلك كثيرا من الثمار ... وفي هذا الشهر زادت دجلة فبلغت الزيادة احدى وعشرين ذراعا ورمت عدة دور.وعملت السكور على نهر معلى وباب المراتب وباب الازج والزاهر وخرج الخليفة من باب البشرى الى دجلة ليلا... وزادت تامرا- ديالى- اثنين وعشرينذراعا وكسرا وتفجرت فيه بثوقة ودار الماء من جلولاء وتامراعلى الوحوش فحصرها فلم يكن لها مسلك ..."[٦٥]

وكان الفيضان الاخر في سنة ٤٦١هـ في شهر جمادي الاولى حيث بلغت زيادة منسوب المياه في دجلة احدى وعشرين ذراعا وثلثين وبلغ الماء قرا الثريا في دار الخلافة وكسر السد الذي يقع فوق باب الغربة [٦٦]- بالقرب من مشرعة شارع السمؤل – وبلغ الماء مشهد النذور –في الاعظمية – ومشهد السيتي ،ولولا العمل على سد البثوق [٦٧]هذه لغرقت بغداد غرقا شديدا لان احدى وعشرين ذراعا وثلثين يعتبر من الزيادات الكبيرة في تلك الفترات .ومن اهم فيضانات بغداد خلال العصر السلجوقي الظالم هو :

فيضان سنة ٤٦٦ هـ

ويصف المؤرخ ابن ارجوزي وسبط الجوزي وغيرهما انه في شهر جمادى الاخر رحل حاجب الخليفة من عكبرا الى نهر القورج للاشراف عليه وترميمه وكان دجلة قد ارتفع منسوب المياه فيها ارتفاعا كبيرا جدا ،وزيادة في المشكلة فان امطارا غزيرة مصدرها الموصل والجبال وصلت بغداد،ولذلك اصدرت الخلافة امرا بان يخرج الناس من بغداد والتوجه الى القورج للمساعدة في عملية الترميم لكن الحاجب رائ المياه وقد حجرت بينه وبين الطريق فعاد ادراجه ،ثم عمل على جمع زوارق،مسعى منه للهرب ،فلما اقبل الليل هبت ريح شديدة جدا رافقتها السيول ثم دخلت المحلات فهدمتها وانقلعت الطوابيق ونبع المياه من الابار والمصارف الصحية.وفي الصباح وجد الناس ان دار الخلافة على دجلة قد غرقت ودخلها الماء من باب النوبي[٦٨]ومن باب البغربة وباب العمامة ،[٦٩]والجامع فهرب الخليفة والناس منها.وعبر الاهالي الى الجاني الغربي .ومن الاضرار اليت خلفها هذا الفيضان هلاك اموال الناس بسبب تهدم البيوت،وهلك الكثير من اهالي درب القباب وهو من الدروب المزدحمة ،وتشرد الكثير من الفقراء ،ووقعت الدور في محلة باب المراتب[٧٠]منها دار ابن جردة الكبير وهي دار مشهورة لابن جردة احد التجار المشهورين في بغداد،والتي كانت تحتوي على ثلاثين دارا

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

ملاصقة وانهدم حمام ضخم ووقع مشهد بمحلة باب ابرز ومنارته وغرقت المقابر وغرق مشهد النذور ومقبرة الخيزران [٧١]في الرصافة وقبر السبتبي وتهدم الحريم (مايقرب من دار الخلافة)وغرقت محلة المامونية وباب الازج وخرابة ظفر ودرب الشاكرية ودرب المطبخ ودرب حلاوة والمسعودة والشمعية ،وخرج الاهالي خائفين مذعورين ،ويقول ابن الجوزي فقد هلك من الناس والبهائم عدد كبير،واستغل اللصوص فسرقوا مافي البيوت وضوعفت اجور الملاحين الذين ينقلون الناس من جانب الى اخر ،وتاخرت صلاة الجمعة فاصيبت خارج باب الخليفة (باب الطلسم).وكان ارتفاع الماء في جامع الخليفة اكثر من قامة ،هذا ما كان الحال عليه في الجانب الشرقي من بغداد.

اما في الجانب الغربي فتهدم مشهد الكف وغرقت مقابر قريش الكاظمية ومقبرة الامام احمد بن حنبل (رضي الله عنه) ودخل الماء شبابيك المارستان العضدي .كل هذا يحدث والناس النقباء يعملون على السيطرة على تدفق المياه حتى بلغت اجرة عامل البناء من ٣- ٥ قراريط [٧٢].

فيضانات سنة ٤٦٩هـ و ٤٩٩هـ و٥١٥هـ و٥٤٦هـ و٥٥٤هـ

لم يمض على هذا الفيضان المدمر غير ثلاث سنوات حتى واجهت بغداد في شهر جمادي الاخرة سنة ٤٦٩هـ فيضانا اخر حيث ارتفعت المياه الى احدى وعشرين ذراعا ونصف ولم يباغت الناس فقد نقلوا اموالهم واثاثهم الى الخارج [٧٣].وحدثت فيضان اخر في بغداد في سنة ٤٩٩هـ في منتصف شهر رجب ،وكان النصف من شباط ،فقد تجمعت الغيوم وازدادت دجلة ،ويعقب ابن الجوزي قائلا،ان هذه الزيادة قيل عنها زادت على سنة الغرق السابقة وهي سنة ٤٦٦ هـ ،واودى الفيضان هذا في سنة ٤٩٩ هـ الى تدمير الغلات وتهديم الدور[٧٤].وفي سنة ٥١٥هـ ازدادت مياه نهر دجلة "حتى خيف على بغداد من الغرق "فامر الخليفة القاضي ابو عبدالله بن الرطبي (وهو احد قضاة بغداد المعروفين)ان يخرج لفحص نهر القورج ويتخذ الاجراءات المناسبة[٧٥].وحدث الامر ذاته في سنة ٥٢٢هـ حينما امر الخليفة بهروزم الخادم وكان مسؤولا عن احوال بغداد من قبل السلاجقة ان يشرف على اعمال سد بثق النهروان ،فعمل بهروز على اكماله [٧٦].ولكن يبدو ان هذه الاعمال الترميمية لم تقف حائلا امام فيضان سنة ٥٤٦هـ ،فقد ادى زيادة منسوب المياه في نهر تامرا(نهر ديالى)الى تهديم هذا السد وكاد يهدد العاصمة بغرق وشيك .ثم حدثت زيادة اخرى في منسوب مياه دجلة في سنة ٥٤٩هـ لكن لم تؤد الى حدوث فيضان [٧٧]،غير ان ماحدث في سنة ٥٥٤هـ من فيضان مدمر ذكر اهالي بغداد بغرق سنة ٤٦٦هـ ،وقد اعطى ابن الجوزي وابن الاثير وابن العمراني وابن كثير وغيرهم تفصيلات لما حدث في هذه السنة خلال السنة الاخيرة من خلافة الخليفة المقتفي لامر الله ففي الثامن عشر من شهر ربيع الاول كثرت مياه دجلة وزادت زيادة مفرطة فامتلات الصحارى بين القورج وبغداد ثم دخلت خندق سور المدينة وهدمت سورها وفتحت فتحة فيه فوقع قسم من السور ثم انفتحت فتحة اخرى ،وكان الاهالي يظنون ان السور سوف يصمد امام المياه ونفاذها الى الداخل،لكن ضغط الماء غلب السور فغرق قراح[٧٨]ظفر والاجمة ومحلة المختارة ومحلة المقتدرية ودرب القيار وخرابة ابن جردة (محلة)ومحلة الريان وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض محلة باب الازج وبعض محلة المامونية وقراح ابي الشحم وبعض قراح ابن زيدون وبعض محلة الظفرية [٧٩](وهذه المحلات الرئيسية في الجانب الشرقي من بغداد المحصورة بين باب الشيخ والباب الشرقي والفضل وباب المعظم).وهذا يعني ان ثلاثة ارباع الشرقية قد غرق اما كليا او جزئيا .وكان ابن الجوزي شاهد عيان على هذا الفيضان فيقول"وخرجت من داري بدرب القيار يوم الاحد وقت الضحى.فدخل اليها- داره- الماء وقت الظهر فلما كانت العصر وقعت الدور كلها واخذ الناس يعبرون الى الجانب الغربي فبلغت المعبرة دنانير. [٨٠]واستغل الاهالي نقصان المياه فسدو الثلمة التي بالدور لكن السور قد تهدم .وقد ظلت المياه راكدة في محلات المدينة ،وعندما رجع ابن الجوزي بعد يومي الى محلته في درب القيار قال انه لم يجد حائطا لاي بيت من البيوت ظل قائما فلم يتمكن الاهالي من تمييز بيوتهم ودورهم "الا بالتخمين وانما الكل ثلال فاستدللنا على دربنا بمنارة المسجد فانها لم تقع"وغرقت مقبرة الامام احمد بن

حنظل (رضي الله عنه)وغيرها من الاماكن والمقابر واغلق المشهد الكائن في محلة الحربية[٨١]وفي فترة خلافة المستضيْ (٥٦٦هـ- ٥٧٥هـ)في سنة ٥٦٨هـ زاد منسوب مياه دجلة ابتداء من اوائل شهر شعبان زيادة عظيمة دخلت المياه المحلات فاغلقت ووصلت الى قبر الامام احمد بن حنظل (رضي الله عنه)ودخلت مدرسة ابو حنيفة(رضي الله عنه)ثم اخذ الماء يدب من الحيطان فدخل المدرسة النظامية ووصل الى رباط ابي

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

سعد الصوفي ،وانصرف الناس للعمل في نهر القورج .وزيادة في تحشيد الهمم الى هذا العمل فقد امر الخليفة الوغاظ بالخروج مع الاهالي للعمل معا خوفا من خطر الفيضان[٨٤].

فيضان سنة ٥٦٩هـ

بعد مضي سنة واحدة على فيضان سنة ٥٦٨هـ واجهت العاصمة خطر فيضان عظيم اخر،يصفه ابن الجوزي وصفا تفصيليا فيقول "زادت دجلة زيادة كثيرة ثم تفاقم الامر في سابع رمضان وجاء مطر كثير في ليلة الجمعة ثامن رمضان ووقع في قرى حول الحظيرة وفي الحظيرة (ويسميها ياقوت الحضيرية محلة بشرقي مدينة بغداد على شاطئ دجلة)[٨٣]برد ما رأوا مثله فهدم الدور وقتل جماعة من الناس وجملة من المواشي"(٨٤)وبعد ذلك يقول ابن الجوزي ان المياه قد زادت في دجلة يوم الاحد العاشر من رمضان "فزادعلى كل زيادة تقدمت منذ بنيت بذراع وكسر"[٨٥]وهو في هذا القول يريدان يبين ان بغداد لم تشهد ارتفاعا في منسوب المياه كما شهدته في سنة ٥٦٩هـ. ثم يعقب على الاثار التخريبية التي تعرضت لها المدينة ،فيقول :خرج الناس وضربوا خياما على تلال الصحراء .وامر الناس ان يخرجوا مع الوعاظ الى نهر القورج ليسدوا الفتحة التي انفتحت في سده،لكن المياه كانت اقوى من جهد الناس لان ماتم سده قد انكسر مرة اخرى وساح الماء فمثلا الجادات وبات الناس يضجون بالبكاء والدعاء ،وغلت الاسعار فبيع الخبز الخشكار[٨٦]كل خمسة ارطال بقيراط.ودخل النزيز من الحيطان فملا المدرسة النظامية والمدرسة التتشيه ومدرسة ابي النجيب ومدرسة قيصر (قيصر احد موالي الخليفة)وجميع القصور الشاطئية ووصل الماء الى رباط ابي سعيد الصوفي فهدمت فيه مواضع ثم الى السلسلة "ومن هذه المواضع ماوقع جميعه ومنه ماتضعضع"[٨٧]،ونبع الماء في درب الشعير وانهدمت دور كثيرة ،ووقعت الدور في محلة المامونية وصعد الماء الى الحريم الطاهري الواقع في الجانب الغربي من بغداد ووقعت دوره،ودخلت المياه المارستان العضدي وقلعت شبابيكه الحديدية"ولم يبق فيه من يقوم بمصلحته الا المشرف على الحوائج "[٨٩]وحجزت المياه محلة الحربية قرب مقابر قريش ،وتهدم كثر سور المشهد وتهدمت دور محلة الحربية وكان الناس ينزلون في السفن من شارع دار الدقيق ومن الحربية ومن درب الشعير ،ووقع المشهد على باب النصيرية (في الجانب الغربي). ويذكر ابن الجوزي ان قرى كثيرة قد هلكت وان مزارع لا تحصى قد

دمرت [٩٠] . واستفحل الفيضان في يوم الجمعه الثاني والعشرين من رمضان فغطى محله الجعفريه والخيزرانيه والسبتي ومحله ابي حنيفه (رضي الله عنه) وجامع المهدي . وتهدمت دور كثيرة من دور الخليفه . ونيجه لغرق الجانب الشرقي فقد انتقل الناس الى الكرخ، وتداعى سور المدينه . أما الاهالي فكانوا منشغلين في سد الثلمات في السور ولكن كلما سدوا فتحه انفتحت فيه فتحة أخرى . ورافق هذا النكبه ارتفاع في اسعار الخبز. وغرقت محلات دار القز والعتابين وباب البصره والكرخ وبات الناس على التلال [٩١] . وقد ظلت مدينه بغداد واهاليها يعانون من هذا الفيضان المدمر فربه شهر.

ومنذ تلك السنه لم تشهد امدينه فيضانا مدمرآ حتى سنه ٩٥٠ هـ عندما زاد منسوب المياه في دجله وانساب بأتجاه سور المدينه لكنه لم يدخلها [٩٢]. وتعرضت في سنه ٦٠٤ هـ الى فيضان خطير أخر ، فيقول ابن الساعي ان دجله أزدادت زيادة كثيرة وانفتح الماء في الخندق من باب كلراذى- أي الباب الشرقي – وارتفع ذرعا وامتلأت البريه خارج المدينه . وفاق الناس من الغرق لكن الخليفة الناصر لدين الله اهتم بالامر ووجه نائب الوزير ان يجدوا في سد الخندق فلم يبرح نائب الوزير والمسؤولين عن المكان حتى تغلبوا على الامر وسدوا الخندق [٩٣].

بعد هذه السنه قلت مخاطره الفيضان ، وذلك يرجع الى زياده اهتمام الحلفاء بأمور نهر القورج والعنايه في ترميم الخندق وسور المدينه لكن هذا لايعني انقطاع الفيضانات نهائياً اذا وقعت في سنوات ٦١٤ هـ و ٦٤١ هـ و ٦٤٦ هـ فيضانات اخرى بعضها لاسيما الاخير كان من الفيضانات المدمرة كان نتيجة زيادة مناسيب المياه في دجلة ولهطول الامطار الكثيرة في شهر شوال،بحيث ان الناس كما يقول مؤلف الحوادث الجامعة قد تعطلوا عن اشغالهم .ودخلت مياه دجلة الى المدينة فغرقت الشطانيات بالجانب الغربي وغرقت محلة الحربية والكرخ ودخل الماء الى المارستان وقصر الخلد والسوق المجاور له ،وجزء من محلة قطفتا والشيخ معروف.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

وما غرق في الجانب الشرقي ،فهو الجزء الواقع ظاهر السور ،ونبع الماء في حائط المستنصرية ومسجد الحضائر القريب منها.ولولا الاسراع في معالجة نهر القورج لكان الامر اكثر خطورة[٩٤].

وكان الفيضان سنة ٦٥١هـ اضرار بالغة جدا توازي اضرار الفيضان السبق عندما ازدادت مياه دجلة زيادة عظيمة ودخلت المدينة وصار الماء في الدروب كالغدران[٩٥].وبعد ثلاث سنين فقط أي في سنة ٦٥٤هـ قبل الغزو المغولي للعاصمة بسنتين تعرضت المدينة لفيضان مدمر بحيث وضع صاحب الحوادث الجامعة عنوانا خاصا به هو (غرق بغداد)[٩٦].ففي هذه السنة زاد منسوب مياه دجلة زيادة عظيمة وانكسرت سدود القورج،ولم يستطع الوزير م سد الفتحة وغرق الجانبان وتهدمت دور كثيرة ،وامتلات شوارع الجانب الشرقي بالمياه،وغرقت دار الخلافة كلها ماعدا القصور الشاطئية ،وتحول الناس وهم مذعورون الى باب الحلبة.وكان ارتفاع الماء في المدرسة النظامية اكثر من اربعة اذرع.وذلك خلت محلات دار الخلافة ومعظم محال بغداد من الاهالي ووقعت دور كثيرة في سائر المحال ،يقول ابن الاثير "وخلت الديار وتعفت الاثار وصار في النظر اليها اعتبار"[٩٧]

والخلاصة فان هذه الكوارث المدمرة التي حلت بمدينة بغداد خلال هذه الفترات من التسلط السلجوقي وما بعده قد جلبت الدمار والتخريب الى الكثير من عمران المدينة وخططها العمرانية من تهديم دور الى تهديم المدارس والمشاهد والمساجد والمحلات.ولذلك من الضروري علينا ونحن ندرس اعمال الخلفاء والمسؤولين العمرانية من بناء المدارس الى اعادة بناء السور الرئيس للمدينة ان ناخذ بنظر الاعتبار ماجلبته هذه الكوارث والفيضانات من اثار تخريبية لصورة المدينة.

الخاتمة :

هدف البحث الى دراسة الواقع العمراني في بغداد السلام خلال العصر العباسي الاخير،واظهار الفكرة المناقضة لاراء بعض الباحثين التي تجعل هذه الفترة من تاريخ بغداد والعراق بانها فترة مظلمة انعدم فيها النشاط العمراني والحضاري .

الا ان الخلفاء العباسيين وزوجاتهم والوزراء والامراء والتجار والاهالي لم ينقطعوا عن اعمار وتعمير العاصمة برغم المعاناة التي عانتها المدينة من تعدد الهجمات الاجنبية والتي دمرت المعالم العمرانية وروعت قلوب الاهالي ،مع ذلك فقد كان الاهالي يقفون الى جانب الخلفاء في اعادة اعمار مادمر من سور مدينة السلام ومن مجلاتها واسواقها ومدارسها .

وظلت مدينة بغداد مركز اشعاع فكري وثقافي من خلال ماتم تاسيسه من مدارس عديدة من اهمها المدرسة المستنصرية التي قصدها العلماء في مجالات الفكر المختلفة كالادب والنحو والفقه واللغة وعلوم القران والحديث والتاريخ يفدون عليها من الاماكن البعيدة لتلقي العلوم على ايدي شيوخ مرموقين ومعروفين.

على الرغم من تقلص حجم عمران بغداد اذا ماقورنت بفترة تاسيسها حتى القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي فان معالمها العمرانية الاساسية ظلت ماثلة ومنظورة .

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

هوامش:

١. سكوبة ،ابو علي بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م).تجارب الامم(نشر امدروز،مصر١٩١٥):ج٢:ص ١٣-١٨وينظر ،السامرائي ،خليل ابراهيم واخرون :تاريخ الدولة العربية في العصر العباسي ١٣٢هـ/٦٥٦هـ،الموصل ١٩٨٨،ص١٣٩-١٤٥.

٢. سكوبه،تجارب الامم .ج٢،ص٣٥٢.

٣. ابن الجوزي ،ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)المنتظم في تاريخ الملوك والامم (حيدر اباد،الدكن،١٣٥٨هـ/١٩٣٩م،ج٧،ص١٥٦،ص٢٢٠.ص٢٣٧،ص٢٨٣،وينظر الدوري ،عبدالعزيز دراسات في العصور العباسية المتاخرة(بغداد،١٩٤٥،ص٤٢٩-ص٢٥٢)

٤. فهد،بدري محمد ،العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري بغداد،١٩٦٧،ص١٢٥.

٥. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٦،ص٣٣٤،الدوري ،دراسات في العصور العباسية المتاخرة ،ص٢٥٠.

٦. مسكوبة ،تجاري،تجارب التهاكم،ج٢،ص٩٩،ص٣٨٨،ابن الجوزي ،المنتظم ج٧،ص١٧،ص١٧٤،الدوري،عبدالعزيز،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري،بغداد،١٩٤٨،ص٢١٨-٢٢٠،الزبيدي محمد حسين ،العراق في العصر البويهي ،دار النهضة العربية ،بغداد١٩٦٩،ص٢٤٣-٢٤٩.

٧. كوك ،ريشارد، بغداد مدينة السلام قديما وحديثا ،ترجمة ،مصطفى جواد،مط شفيق،بغداد١٩٦٧م،ج١،ص٣٢٠

٨. ابن حوقل ،ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/١٧٠٩م)،صورة الارض ،تحقيق كريمر ،ليدن،١٨٧٣م،ص٢١٦.

٩. المقدس ،شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المعروف بالبشاري (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م،احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (اعتناء دي غرية،ليدن١٩٠٩،ص١٢٠.

١٠. ينظر ابن الفوطي ،كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م،تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب،تحقيق،مصطفى جواد،دمشق ،ج٤،ص٤٤٧-٤٤٨.

١١. ينظر عن الفترة السلجوقية ،امين،حسين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي،بغداد،١٩٦٥،كلود ،تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ،ترجمة بدر الدين القاسم ،بيروت ،١٩٧٧،ص٢٤٥،القزاز محمد صالح،الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير النجف الاشرف١٩٧١.ص ١٢-١٥،رايس تامرا،السلاجقة ترجمة لطفي خوري ،بغداد،١٩٦٨،ص٢٨-٣٢.

١٢. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٨،ص١٦٩،ص٢٨-٢٢٩،البغدادي،الفتح بن علي الاصفهاني (ت ٦٤٣هـ،١٢٤٥م- تاريخ دولة ال سلجوق،بيروت ،١٩٧٨،ص١١،الذهبي،شمس الدين)ابو عبدالله محمد(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م،

العبر في خبر من غبر،تحقيق فؤاد سيد،الكويت،١٩٦١،ج٣،ص٢٣٤.

١٣.البغدادي ،تاريخ ال سلجوق ،ص١١.

١٤.ابن القلانس،ابا يعلى حمزة بن اسد التميمي (ت٥٥٥هـ/١٢٥٧م،ذيل تاريخ دمشق ،بيروت ،١٩٠٨،ص٢١٢.

١٥.هنتس ،والتر ،المكاييل والاوزان الاسلامية في النظام المتري ،ترجمة كامل العلي ،عمان،١٩٧٠م،ص٤٤.

١٦. هنكس ،المكاييل ،ص٦٦

١٧. م.ن،ص٧٠.

١٨. م،ن،ص٧٨.

١٩. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٨،ص ١٧٠-١٧١

٢٠. هنتس،المكاييل ،ص٦٩.

٢١. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٨،ص١٧٩.

٢٢. م.ن،ج٨،ص١٦٩.

٢٣. م.ن.ج٨،ص ١٨١.

٢٤. م.ن ،ج٨،ص٨١

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٢٥. فهد ،بدري ،الحياة العامة في بغداد،ص١٥٠.
٢٦.ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٩،ص٢٨٨،امين ،حسين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،ص١٤٢.
٢٧. ابن الاثير ،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ /١٣٢٢م،الكامل في التاريخ ،الاستقامة ،القاهرة،١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، ج١٠،ص٥٥،امين ،حسين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،ص١٤٢-١٤٣.
٢٨.الحسين،علي بن ناصر ،(ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)،اخبار الدولة السلجوقية .اعتناء محمد اقبال ،ص ١٤٩،ابن الاثير ،الكامل،ج١١،ص١٣٢،البغدادي ،تاريخ ال سلجوق ،ص١٩٩،امين ،حسين،تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،ص١٥٧-١٥٩.
٢٩.ابن الجوزي ،المنتظم ،ج١٠،ص٥٦-١٥٧،الحسيني ،اخبار الدولة السلجوقية ،ص١٣١-١٣٣،فهد،بدري ،تاريخ العراق،ص٢٤٨.
٣٠. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٩،ص٤٧،ج١٠،ص٦٨-١٠٧.
٣١. الدوري ،عبد العزيز ،مقدم في تاريخ العرب الاقتصادي ،بيروت ١٩٨٠-ص٩٧.
٣٢. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج١٠،ص٦٨-٦٩،حلمي،كمال الدين احمد ،السلاجقة في التاريخ والحضارة،الكويت،١٩٧٥،ص٢٢٤.
٣٣. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج١٠،ص٥٨.
٣٤. ابن الاثير ،الكامل ،ج٩،ص٥١-٥٢،الراوندي ،محمد بن علي بن سليمان (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)راجع الصدور واية السرور ،نقلة الى العربية ،ابراهيم امين الشواربي ،وعبد المنعم محمد ،وفؤاد عبد المعطي الصياد،القاهرة،١٩٦٠،ص٣٨٥-٣٨٧.
٣٥.ابن الاثير ،الكامل،ج١١،ص٥٢٥- ٥٦٠.
٣٦. الاربلى ،عبد الرحمن سنبط(ت٧١٧هـ/١٣٠٩م)،خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سيرة الملوك (وقف على طبعة وتصحيحه مكي السيد جاسم ،مط،مكتبة المثنى ،(د-ت،ص٢٨٨.
٣٧. المنذري،ابو محمد عبدالعظيم (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)التكملة لوفيات النقلة(تحقيق بشار معروف،النجف،١٩٦٩-١٩٧١م)ج٢،ص٣٧٩.
٣٨. ابن الكازروني ،ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ /١٢٩٧م)مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بن العباس ،تحقيق مصطفى جواد،مط الحكومة ،بغداد،١٩٧٠،ص٢٥٣.
٣٩. ابن الساعي ،ابو طالب علي بن انجب تاج الدين ،(ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م،الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير تحقيق،مصطفى جواد،مط الكاثولكيه،بغداد،١٩٣٤،ج٩،ص٢٢٩-٢٣٠.
٤٠. ابن الساعي ،نساء الخلفاء ،تحقيق مصطفى جواد،دار المعارف (د-ت).ص١١١-١١٢.
٤١. سورة النساء .اية ٧٦،٧٧.
٤٢. سورة النساء اية ١٥،١٧.
٤٣.ابن الاثير ،الكامل،ج٨،ص٤٠٥.
٤٤. ياقوت ،الحموي،شهاب الدين ابو عبدالله بن ياقوت معجم البلدان ،دار صادر،بيروت.(د-ت،ج٥،ص٢٨١.
٤٥. ابن الاثير ،الكامل،ج٩،ص٥٥١.
٤٦. ابن خلدون ،ولي الدين ابو زيد عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م،القدم . مط الكشاق،بيروت (د- ت)ص٣٠١-٣٠٢.
٤٧. م. ت،ص٣٠٢.
٤٨. الحكيم ،حسن،كتاب المنتظم لابن الجوزي ،دراسة في منهجه واهميته .ط١،بيروت ن١٩٨٥،ص٣٥.
٤٩. ابن الجوزي ،المنتظم ،ج٩،ص١٤-١٥
٥٠. م.ن،ج٩،ص١٥-١٦.
٥١م.ن،ج٨،ص٣٠٨.
٥٢. م.ن،ج١٠،ص٦٨.
٥٣. ابن الاثير ،الكامل،ج٩،ص١٥.
٥٤.ابن الجوزي ،المنتظم،ج٨،ص١٩٠.
٥٥. م.ن ،ج٩،ص١٩٣.
٥٦. م.ن،ج١٠- ص١٤.
٥٧. ابن كثير ،عماد الدين ابو الفدا اسماعيل (ت٧٧٤ه/١٣٧٢م)البوابة والنهاية في التاريخ ،ج١٢،ص٢١٢.
٥٨. سبط ابن الجوزي ،ابو المظفر شمس الدين يوسف بن (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)،مراة الزمان في تاريخ الاعيان ،تحقيق علي سومه، ١٩٦٨،ق١،ج٨،ص١٢٩.
٥٩. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص١٣٨،سبط بن الجوزي،مراة الزمان،ق١،ج٢،ص٢٠١.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٦٠ـ ياقوت، معجم البلدان،ج٤،ص٤١١.

٦١ـ م .ن،ج٤، ص٤١٢.

٦٢ـ م .ن،ج٤، ص٤١٢.

٦٣ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦،ص٣١٦.

٦٤ـ م .ن،ج٧،ص٨٣ ،ص١٠٥.

٦٥ـ م .ن ، ج٨ ، ص٢٢٥.

٦٦ـ جواد، مصطفى ، سوسه، احمد، ذيل خارطة بغداد(مط:المجمع العلمي العراقي،بغداد، ١٩٨٥،ص١٥٧.

٦٧ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨، ص٢٥٤.

٦٨ـ مصطفى ، ذيل خارطة بغداد ، ص١٥٨.

٦٩ـ م .ن ، ص١٥٨.

٧٠ـ م .ن ،ص١٥٩.

٧١ـ م .ن ، ص١٥٨.

٧٢ـ ابن الجوزي، المنتظم ، ج٨،ص٢٨٤ـ٢٨٦، سبط ابن الجوزي مراة الزمان ، ق١، ج٨، ص١٦٩، ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، نشر محمد بهجت الاثري ، بغداد، ١٩٢٣،ص٣٤، لبن دحيه ، ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي(٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م،النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي ، بغداد،١٩٤٦،ص١٤٣.سوسه، احمد، الفيضان وغرف بغداد في العصر العباسي (مجلة المجتمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٢، ص٣١، مقدسي ، جورج، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة صالح احمد العلي ، مط، المجمع العلي العراق، بغداد، ١٩٨٤، ص٤٧ـ٤٨.

٧٣ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨، ص٣٠٥.

٧٤ـ م ، ن، ج٩، ص١٤٦.

٧٥ـ م . ن . ج٩، ص٢٣٢.

٧٦ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص١٩.

٧٧ـ م . ن ، ج١٠، ص١٥٨.

٧٨ـ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣١٥ـ ٣١٦.

٧٩ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص١٨٩ـ ١٩٠.

٨٠ـ م . ن، ج١٠، ص١٩٠.

٨١ـ ابن العمراني ، محمد بن علي (ت. ٥٥١هـ / ١١٨٤، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، القاهرة ، ١٩٧٥، ص٢٢٥). ابن الاثير ، الكامل ، ج١١، ص٣٩٤، ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٢، ص٢٧٣.

٨٢ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص٢٤١.

٨٣ـ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢، ص٢٧٣.

٨٤ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص٢٤٤.

٨٥ـ م . ن ، ج١٠، ص٢٤٤.

٨٦ـ الخشكار ، الدقيق الذي لم تنتزع نخالته، الكبيسي ، حمدان اسواق بغداد حتى بداية العصر البيويهي ، بغداد ، ١٩٧٩، ص٢٨٤.

٨٧ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص٢٤١.

٨٨ـ م . ن ، ج١٠، ص٢٤١.

٨٩ـ م . ن ، ج١٠، ص٢٤٥.

٩٠ـ م . ن ، ج١٠، ص٢٤٥.

٩١ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٢٧٢.

٩٢ـ سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، ق١، ج٨، ص٤٣٧.

٩٣ـ ابن الاثير ، الكامل ، ج٩، ص٢٩٨.

٩٤ـ مؤلف مجهول الحوادث الجامعة ، تحقيق، بشار معروف ، بيروت ١٩٩٧م، ص٢٧٢ـ ٢٧٥.

٩٥ـ م . ن ، ص٣١١.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)

٩٦ـ م . ن ، ص٣١١، الكثير ، محمد بن شاكر(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، عيون التوارخ، تحقيق، فيصل السامر. نبيلة عبد المنعم ، بغداد، ١٩٨٠، ج٢٠، ص٨٦ـ٨٧، سوسه ، احمد ، فياضات بغداد في التاريخ ، بغداد ، ١٩٦٣، ق٢، ص٢٨٢ـ ٢٨٨،وبحثه القيم، الفيضان وغرق بغداد في العصر العباسي ، مجلة المجتمع العلمي العراقي ، مجلد ١، ١٩٦٢، ص٤٠ـ ٤٣.

٩٧ـ ابن الاثير ، الكامل ، ج١٠، ص٢٦، البنداري ، دولة ال سلجوق ، ص٢٧.

Print to PDF without this message by purchasing novaPDF (http://www.novapdf.com/)